المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم[١]

أبو السعادات، مجد الدين، ابنُ الأثير، المَوْصلي الجَزَري الكاتب.

ولد سنة أربعين وخمس مئة بجزيرة ابن عمر، وانتقل إلى المَوْصل، وكتب لأمرائها، وكانوا يحترمونه ويعظِّمونه، ويستشيرونه، وكان بمنزلة الوزير النَّاصح، إلا أنه كان منقطعاً إلى العِلْم، صنَّف الكُتُبَ الحِسان، منها «جامع الأصول» و«التَّاريخ»[٢] و«الغريب»[٣] وغير ذلك، وكان يَسْكُنُ في المَوْصل بدرب دراج.

قال المصنف رحمه الله: واجتمعتُ به في سنة ثلاثٍ وست مئة بداره، وقرأتُ عليه شيئاً من تصانيفه، وأجاز لي الباقي، وكان به نِقْرس، فكان يُحمل في مِحَفَّة. وكانت وفاته بالمَوْصِل يوم الخميس سَلْخ ذي الحِجَّة، ودُفِنَ بدرب دراج ـ وهو أخو أبي الحسن علي الكاتب الجَزَري ـ قرأ النَّحو على ابنِ الدَّهَّان، ثم على أبي الحرم الضَّرير، وسمع الحديث من أبي بكر بن سَعْدون القُرْطُبي، وأبي الفَضْل عبد الله ابن الطُّوسي وغيرهم، وروى الحديث، وانتفع به النَّاس، وكان عاقلاً مهيباً، ذا بِرٍّ وإحسان.

السنة السَّابعة وست مئة

فيها أظهر الخليفةُ الإجازة التي أُخذت له من الشُّيوخ، وذكرهم في كتاب «روح العارفين».

قال المصنِّف رحمه الله: وقد شَرَحْتُ هذا الكتاب، وهو في وقف دار الحديث الأشرفية بدمشق، ودفع الخليفةُ إلى كلِّ مذهب إجازة عليها مكتوباً بخطِّه: أجزنا لهم ما سألوا على شَرْط الإجازة الصَّحيحة، وكتبه العبدُ الفقير إلى الله تعالى أبو العَبَّاس أحمد أمير المؤمنين. وسُلِّمت إجازةُ الشَّافعية إلى ضياء الدين عبد الوهَّاب بن علي

---

(١) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ٢٨٨، و«التكملة» للمنذري: ٢/ ١٩١ـ١٩٢، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٠٦-٢٠٧، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٤٨٨ـ٤٩١، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

(٢) لا يصح هذا، فمؤلف «التاريخ» هو أخوه عز الدين علي بن محمّد بن محمّد بن عبد الكريم المتوفى سنة (٦٣٠هـ).

(٣) هو «النهاية في غريب الحديث»، وهو مطبوع مشهور متداول.

الصُّوفي، وإجازة الحنفية إلى الضياء أحمد بن مسعود التركستاني، وإجازة الحنابلة إلى أبي صالح نَصْر بن عبد الرَّزَّاق بن الشيخ عبد القادر، وإجازة المالكية إلى التقي علي بن جابر التَّاجر المغربي.

وفيها عصى قُطْبُ الدِّين سنجر النَّاصري[١] بششتر بعد موت طاشْتِكِين، وكان زوجَ ابنته، فبعثَ إليه الخليفةُ عِزَّ الدين نجاح الشَّرابي ومؤيَّد الدين القُمِّي نائب الوزارة، فلما قربوا من ششتر هرب سنجر بأمواله وأهله إلى صاحب شيراز أتابك نرسي وقيل: سَعْد، فحلف له على أن لا يسلمه، ثم نكث وغَدَرَ به، ونهب أمواله وأهله، وجميع ما كان معه، وارتكب من النِّساء الفواحش، وسَلَّمه إلى نواب الخليفة، فعادوا به إلى بغداد، فأدخل سنجر بعد الملك والسَّلْطنة على بغل في السنة الآتية.

قال المصنِّف رحمه الله: وفيها خرجتُ من دمشق إلى نابُلُس إلى الغَزَاة، وكان الملك المعظَّم عيسى ـ رحمه الله ـ بها. جلستُ بجامع دمشق يوم السبت خامس ربيع الأول، وكان النَّاس من [باب][٢] مشهد زين العابدين إلى باب النَّاطفانيين، وإلى باب السَّاعات، وكان القيامُ في الصَّحْن أكثر، بحيث امتلأ الجامع، وحُزروا بثلاثين ألفاً، وكان يوماً لم يُرَ بدمشق مثله [ولا بغيرها][٢]، وكان قد اجتمع عندي شعور كثيرة، وقد وقفتُ على حكاية أبي قدامة الشَّامي مع تلك المرأة التي قَطَعَتْ شَعْرها، وبعثت به إليه، وقالت: اجعله قيداً لفرسك في سبيل الله. فَعَمِلْتُ من الشُّعور التي اجتمعت عندي شُكلاً لخيل المجاهدين، وكرفسارات، ولما صَعِدْتُ المنبر أمرتُ بإحضارها، فحملت على أعناق الرِّجال، وكانت ثلاث مئة شكال، فلما رآها النَّاس صاحوا صيحةً عظيمة، وقطعوا مِثْلها، [وقامتِ القيامة،][٢] وكان المبارز إبراهيم المعتمد رحمه الله والي دمشق حاضراً، وجَمَعَ الأعيان، فلما نزلتُ من المنبر قام المبارز [يُطَرِّقُ لي][٢]، ومشى معي إلى باب النَّاطفانيين، [فتقدم إلى فرسي][٢]، فأمسك بركاب فرسي، وأركبني، وخرجنا من باب الفرج إلى المُصَلَّى، [وجميع من كان بالجامع بين يدي][٢]، وسرنا إلى الكُسْوة من الغد، ومعنا خلق [مثل التراب، وكان معنا من قرية

(١) ستأتي وفاته سنة ٦١٠هـ.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

واحدة يقال لها زَمْلَكا ـ من قرى دمشق ـ نحو][1] ثلاث مئة رجل بالعُدَد والسِّلاح، وأما من غيرهم فَخَلْقٌ كثير، والكُلُّ خرجوا احتساباً، [وجئنا][2] إلى عقبة فيق، والطير لا [يقدر أن][2] يطير من خوف الفرنج، فسرنا على الجادَّة إلى نابُلُس، ووصلت أخبارُنا إلى عكا، وخرج المعظَّم، فالتقانا، وسُرَّ بنا، وجلستُ بجامع نابُلُس، وحَضَرَ وأحضرنا الشُّعور، فأخذها، وجعلها على وَجْهه، وجعل يبكي، ولم أكن اجتمعتُ به قبل ذلك اليوم، وكان يوماً عظيماً، وخَدَمنا وأكرمنا، وخرجنا نحو بلاد الفرنج، فأخربنا وهَدَمْنا، وقطَّعْنا أشجارهم، وأسرنا جماعة، وقُتِلَ جماعةٌ، ولم يتجاسروا أن يخرجوا من عكا، فأقمنا أياماً ثم عُدْنا سالمين غانمين إلى الطُّور المطل على النَّاصرة، والمعظم معنا، فقال: أريد أن أبني عليه قلعةً. وطلب أخاه الملك الأشرف وعساكر الشَّرْق وحلب، وشَرَعَ في عمارة الطُّور، وأقام العسكر تحته من ذي الحِجَّة بهذه السنة إلى سنة ثمانٍ وست مئة، فكمل سوره ودار واستوى، وخاف الفرنج منه، فأرسلوا إلى العادل، فصالحهم، وأعطى العساكر دستوراً، فتفرَّقوا، وأقام المعظم يعمر الطور إلى قبيل وفاة العادل، فلا يحصى ما غَرِمَ عليه.

وحج بالنَّاس محمد بن ياقوت، وكان صبيًّا، ومعه ابنُ أبي فراس الحِلِّي، وكان الخليفةُ قد أقطع ياقوت ششتر، وحج ولده نيابةً عنه، وحجَّ من الشَّام سيف الدين علي ابن عَلَم الدِّين سليمان بن جَنْدَر.

وفيها توفي

رسلان بن عز الدين مسعود[3]

نور الدين أتابَك، صاحبُ المَوْصل.

وكان متكبِّراً، جبَّاراً، بخيلاً، فاتكاً، سفَّاكاً للدِّماء، حبس أخاه علاء الدين، فمات في حَبْسه، وولَّى المَوْصل رجلاً ظالماً يقال له: السَّرَّاج، فأهلك الحَرْثَ والنَّسْل.

---

(١) في (ح): ومعنا خلق، فمن زملكا ثلاث مئة رجل...، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ٢٩١ـ٢٩٤ ، و«التكملة» للمنذري: ٢/ ٢١٠ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢١١ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٤٩٦ـ٤٩٧ ، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

وكان نور الدين يسيء التَّدْبير، وهو الذي كسره الأشرف على بوشرى، وعَرَضَ لنور الدِّين مرضُ السل، فأقام يذوب ذوباناً، ومات في صفر، وخلَّف ولدين القاهر مسعود وزَنْكي، وأوصى إلى بدر الدين لؤلؤ أن يكون مسعود السُّلْطان، وزَنْكي في شَهْرُزور، وبعث بدرُ الدِّين العماد بن يونس إلى بغداد يطلب الخِلَع للقاهر، فبعثَ له الخليفةُ الخِلَع مع بدر الدِّين محمد سِبْط العقاب، فَخَلَعَ عليه.

عبد الوهَّاب بن علي بن علي[1]

أبو محمد الصُّوفي، ويعرف بابن سُكَيْنة، ضياء الدِّين، سِبْط شيخ الشيوخ إسماعيل ابن أحمد النَّيْسابوري.

ولد سنة تسع عشرة وخمس مئة، وقرأ القرآن، وسمع الحديث الكثير، وكانت وفاته في ربيع الآخر وقد قارب تسعين سنة، صُلِّي عليه بجامع القَصْر، وحضره أربابُ الدَّولة، ودُفِنَ عند جامع المنصور، وكان من الأبدال، وأنشد لمحمد الفارقي الواعظ: [من المتقارب]

تحمَّلْ أخاكَ على خُلْقِهِ ... فما في استقامته مَطْمَعُ
وأنَّى له خُلُقٌ واحدٌ ... وفيه طبائعُهُ الأَرْبَعُ

عمر بن محمد[2]

أبو حفص الدَّارَقَزِّي، يعرف بابن طَبَرْزد.

ولد في ذي الحِجَّة سنة خمس عشرة وخمس مئة[3]، وسمع الحديث الكثير، وكان ماجناً خليعاً، وسافر مع حنبل إلى الشَّام، وحَصَلَ له مالٌ بسبب الحديث، وعاد إلى بغداد، فاستعمل الكاغَد والعَتَّابي، فمرض، وأقام مريضاً مُدَّة، وتوفي، ودفن بباب حَرْب، ولم يكن له وارثٌ، فرجع المال إلى بيت المال.

---

(١) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ٢٩٥ ، و«التكملة» للمنذري: ٢/ ٢٠١ـ٢٠٢ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢١١-٢١٢ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٥٠٢ـ٥٠٥ ، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

(٢) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ٢٩٥ ، و«التكملة» للمنذري: ٢/ ٢٠٧ـ٢٠٨ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢١٢-٢١٣ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٥٠٧ـ٥١٢ ، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

(٣) ولد على الصحيح في ذي الحجة سنة ست عشرة وخمس مئة.

قيل له بدمشق: لم تغرَّبْتَ؟ فأنشد أبيات ابنِ ماكولا: [من البسيط]

قـوِّضْ خـيـامـك عـن دارٍ تُـهـانُ بـهـا وجـانـبِ الـذُّلَّ إنَّ الـذُّلَّ مُـجْـتَـنَـبُ
وارحـلْ إذا كـانـتِ الأوطـانُ مـضـيـعـةً فـالـمَـنْـدَلُ الرَّطْبُ في أوطانه حَطَبُ

قُثَم بن طلحة(١)

أبو القاسم، العَبَّاسي، نقيب الهاشميين.

تولى بيتَ النقابة يتوارثونها صاغراً عن كابر، وصنَّف الكُتُبَ في فنون، وتوفي في رجب، وسمع ابنَ البَطِّي وغيره، وأنشد: [من المنسرح]

لا غَـرْوَ مـن جَـزَعـي لـبَـيْـنِـهِـمُ يـوم الـنَّـوى وأنـا أخـو الـفَـهْـمِ
فـالـقـوسُ مِـنْ خَـشَـبٍ تـئـنُّ إذا مـا كـلَّـفـوهـا فُـرْقـة الـسَّـهْـمِ

قيصر بن كُمُشْتِكِين(٢)

حاجب الخليفة.

كان شيخاً، مليحَ الصُّورة، متواضعاً، مهيباً، فاضلاً، ولد سنة ثلاث وأربعين وخمس مئة، ومات في صفر، ودُفِنَ بمشهد موسى بن جعفر، وكان ثقة.

أنشد لغيره: [من الطويل]

أَزِيْـدُ إذا أَيْـسَـرْتُ فَـضْـلَ تـواضـعٍ ويَزْهُو إذا أَعْسَرْتُ بعضي على بعضي
فـذلـك عـنـد الـيُـسْـرِ أَكْـسَـبُ لـلـثَّـنـا وذلـك عـنـد الـعُـسْـرِ أصـونُ لـلـعِـرْضِ
أرى الغُصْنَ يَعْرَى وهو يسمو بنفسه ويَـثْـقُـلُ حِـمْـلاً وَهْـوَ يـدنـو مـن الأرضِ

محمد بن أحمد(٣)

ابن محمد بن قُدَامة، أبو عمر، شيخ الصَّالحية والمقادسة، الزَّاهد العابد.

---

(١) له ترجمة في «معجم الأدباء»: ١٧/ ١١-١٢، و«التكملة» للمنذري: ٢/ ٢٠٦-٢٠٧، و«تاريخ الإسلام» للذهبي: (وفيات سنة ٦٠٧هـ)، و«المختصر المحتاج إليه»: ٣/ ١٦١، و«الوافي بالوفيات»: ٢٤/ ٢٠١.

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٢٠٤.

(٣) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٢٠٢-٢٠٣، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢١٣-٢٢٣، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٢/ ٥-٩، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

ولد سنة ثمانٍ وعشرين وخمس مئة بقرية جَمَّاعيل، وقيل: بقرية من أعمال بيت المقدس ونابُلُس، وكان معتدلَ القامة، حَسَنَ الوَجْه، عليه أنوارُ العبادة، لا يزال مُبْتَسِماً، نحيلَ الجسم من كَثْرة الصِّيام والقيام، وهاجَرَ مع والده [الشيخ أحمد، فحدثني أبو عمر،][1] قال: هاجَرْنا من بلادنا، فنزلنا مسجد أبي صالح بباب شَرْقي، فأقمنا به مُدَّة، ثم انتقلنا إلى الجبل، فقال النَّاس: الصَّالحية الصَّالحية، نسبونا إلى مسجد أبي صالح، لا أننا صالحون، ولم يكن بالجبل عِمارة إلا ديرُ الحوراني، وأماكنُ يسيرة.

ذِكْرُ اشتغاله وزُهْده وعبادته:

قرأ القرآن بحرف أبي عمرو، وحفظ الخِرَقي، وقرأ النَّحْو على ابنِ بَرِّي، وسمع الحديث بدمشق ومِصْر، واشتغل بالعبادة عن الرِّواية، وكتب «الحِلْية» لأبي نُعَيْم و«تفسير البغوي» و«المغني» لأخيه شيخنا موفق الدِّين رحمه الله، و«الإبانة» لابن بَطَّة، ومصاحفَ كثيرة للنَّاس ولأهله، وكُتُباً كثيرة، والكل بغير أجرة.

وكان يصومُ الدَّهر إلا من عُذْر، ويقوم الليل من صِغَره، وما كان يفطر إلا في يوم عيد، ويحافظ على الصَّلوات الخمس في الجماعات، ويخرج من ثُلُث الليل الأخير إلى المسجد في الظُّلْمة، فيصلِّي إلى الفجر، ويقرأ في كل يوم سُبُعاً من القرآن بين الظُّهْر والعَصْر، ويقرأ بعد العشاء الآخرة آيات الحرس وياسين والواقعة وتبارك و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوِّذتين، وإذا ارتفعت الشمس لقَّن النَّاسَ إلى وقت الضُّحى، ثم يقوم فيصلي الضُّحى ثماني ركعات، ويقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ألف مرة، ويزور المقابر بعد العَصْر في كلِّ جُمُعة، ويَصْعَدُ يوم الاثنين والخميس إلى مغارة الدَّم ماشياً بالقَبْقاب، فيصلِّي فيها ما بين الظُّهْر والعصر، وإذا نزل جمع الشِّيْح من الجبل، وربطه بحَبْلٍ، وحمله إلى بيوت الأرامل واليتامى، ويحمل في الليل إليهم الدَّراهم والدَّقيق ولا يعرفونه، ولا ينام إلا على طهارة، ومتى فُتِحَ له بشيءٍ من الدُّنيا آثر به أقاربه وغيرهم، ويتصدَّق بثيابه، وربما خَرَجَ الشِّتاء وعلى جسده جُبَّة بغير ثوب، ويبقى مُدَّة طويلة بغير سراويل، وعِمامتُه قِطْعةٌ من بطانة، فإنِ احتاجَ أحدٌ إلى خِرْقة أو ماتَ صغيرٌ يحتاج إلى كَفَنٍ، قَطَعَ له منها قِطْعة.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وكان ينام على الحصير، ويأكل خُبْزَ الشَّعير، وثوبه خام إلى أنصافِ ساقيه، وما نَهَرَ أحداً، ولا أَوْجَعَ قَلْبَ أحد، وكان يقول: أنا زاهدٌ، ولكن في الحرام.

ولما نزل صلاحُ الدِّين ـ رحمه الله ـ على القُدْس كان هو وأخوه الشيخ الموفق والجماعة في خيمة، فجاء العادلُ إلى زيارته وهو في الصَّلاة، فما قَطَعها، ولا التفتَ، ولا ترك وِرْدَه.

وكان يصعد المِنْبر في الجبل، وعليه ثوبٌ خام مهدول الجيب، وفي يده عصا، والمِنْبر ثلاث مراقي، وكان يجاهد في سبيل الله، ويحضر الغزوات مع صلاحِ الدين.

وكان الشيخ الموفق ـ رحمه الله ـ يقول: أخي شيخنا ربَّانا وأحسنَ إلينا، وعلَّمنا، وحَرِصَ علينا، وكان للجماعة كالوالد، يقوم بمصالحهم، ومَنْ غاب منهم خَلَفَه في أهله. قال: وكان أبي أحمدُ قد تخلَّى عن أمور الدُّنيا وهمومها، وكان المرجعُ في مصالح الأهل إليه، وهو الذي هاجر بنا، وسفَّرنا إلى بغداد، وبنى الدَّير، وكفانا همومَ الدُّنيا، وكان يُؤْثِرُنا ويَدَعُ أهله محتاجين، وبنى المدرسة والمَصْنَع بعلو هِمَّته، وكان مجابَ الدَّعْوة، وما كَتَبَ لأحدٍ ورقة للحُمَّى إلا وشفاه الله تعالى.

[[(١)] **ذِكْرُ نبذة من كلامه وكراماته**: وكانت كراماته كثيرة، وفضائله غزيرة، فمنها ما شاهدته، ومنها ما أُخبرت به. فأما الذي شاهدته، فإني] صليت يوم الجمعة بجامع الجبل في أول سنة ستٍّ وست مئة، والشيخ عبد الله اليونيني إلى جانبي، فلما كان في آخر الخُطْبة وأبو عمر يخطب، نهضَ الشيخ عبد الله اليونيني مُسْرعاً، وصَعِدَ إلى مغارة توبة، وكان نازلاً بها، فظننت أَنَّه قد احتاج إلى الوضوء، أو آلمه شيء، فلما صلينا الجمعة صَعِدْتُ وراءه، وقلت: خير، ما الذي أصابك؟ فقال: هذا أبو عمر ما تَحِلُّ خلفه صلاة. قلت: ولِمَ؟ قال: لأَنَّه يقول على المِنْبر ما لا يَصْلُح. قلتُ: وما الذي قال؟ قال: قال: الملك العادل، وهو ظالمٌ، فما يَصْدُق. وكان أبو عمر يقول في آخر الخُطْبة: اللهم وأَصْلِحْ عَبْدَك الملك العادل سيفَ الدِّين أبا بكر بن أيوب. فقلتُ له: إذا كانتِ الصلاةُ خلف أبي عمر لا تصح، فيا ليت شِعْري خَلْفَ مَنْ تصحّ! [وخطر لي قول عبد الرحمن

(١) في (ح): وقال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: صلّيت يوم الجمعة...، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

ابن عوف لما رأى عمر بن الخطاب ليلة يمشي في أزقة المدينة، فأتى إلى بيت عجوز، فدخله، فقلت: لا أنصرف حتى أنظر ماذا يصنع. فتواريت، وإذا به قد خرج من عندها، فدخلت بعده، وقلت: ما كان يصنع عندك؟ فقالت: يحمل إليَّ ما آكل، ويخرج عني الأذى. قال عبد الرحمن: فقلت في نفسي، ويحك يا عبد الرحمن، أعثرات عمر تتبع؟][1] وبينا نحن في الحديث إذا بالشيخ أبي عمر [[2]وقد صَعِدَ إلى مغارة توبة، فدخل] ومعه مئزر، فَسَلَّم، وحَلَّ المئزر، وفيه رغيفٌ وخيارتان، فكسر الجميع، وقال: بسم الله، الصَّلاة، ثم قال: ابتداءً قد جاء في الحديث أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «ولدتُ في زمن الملك العادِل كِسْرى»[3]، فنظر إليَّ الشيخ عبد الله وتبسَّم، ومدَّ يده فأكل، وقام أبو عمر، ونزل، فقال لي الشيخ عبد الله: يا سَيِّد، ما ذا إلا رجلٌ صالح.

قال المصنف رحمه الله: وأصابني قُولَنْج، وعانيت منه شِدَّة، فدخَلَ عليَّ أبو عمر وبيده خَرُّوب شامي مدقوق، فقال: استفَّ هذا. وكان عندي جماعةٌ، فقالوا: هذا يزيد القولنج ويضرّه! فما التفتُّ إلى قولهم، وأخذتُه من يده، فأكَلْتُه، فبرأت في الحال، ومن هذا شيءٌ كثير.

[[4]وأما ما أُخبرت به، فحكى] الجمال البُصْراوي، قال: أصابني قُولَنْج في رمضان، فاجتهدوا بي أَنْ أُفطر، فلم أفعل، وصَعِدْتُ إلى قاسيون، فقعدت موضعَ الجامع اليوم، وإذا بالشيخ أبو عمر قد أقبل من الجبل، وبيده حشيشةٌ، فقال: شُمَّ هذه تنفَعْك. فأخذتُها وشممتها، فبرأت.

وجاءه رجلٌ مغربي، فقرأ عليه القرآن، ثم غاب عنه مُدَّة وعاد، فلازمه، فَسُئِلَ عن ذلك، فقال: دخلتُ دياربكر، فأقمتُ عند شيخٍ له زاوية وتلامذة، فبينا هو ذاتَ يوم جالسٌ بكى بكاءً شديداً، وأُغمي عليه، ثم أفاق وقال: ماتَ القُطْب السَّاعة، وقد أقيم

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ح): إذا بالشيخ أبي عمر قد دخل، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) لا أصل له، انظر حاشيتنا رقم ١ ص٢١٧ من الجزء الأول من «المذيل على الروضتين»، وتعقيب أبي شامة على هذ الخبر.

(٤) في (ح): وقال الجمال...، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

الشيخ أبو عمر شيخ الصَّالحية مقامه، قال: فقلتُ له: ذاك شيخي، فقال: فأيش قعودك ها هنا، قُمْ فاذهبْ إليه، وسَلِّمْ عليه عني، وقُلْ له: لو أمكنني السَّعي إليه لسعيتُ. ثم زوَّدَني وسافرتُ.

قال المصنف رحمه الله: قلتُ له يوماً أوَّلَ ما قَدِمْتُ الشَّام، وما كان يَرُدُّ أحداً في شفاعةٍ إلى مَنْ كان، وقد كَتَبَ ورقةً إلى الملك المُعَظَّم عيسى بن العادل، وقال فيها: إلى الولد الملك المُعَظَّم، فقلتُ له: كيف تكتب هذا والملك المعظم على الحقيقة هو الله تعالى! فتَبَسَّم ورمى إليَّ الورقة، وقال: تأَمَّلها. وإذا به لما كَتَبَ المعظم كسر الظَّاء، فصار المعظِّم، وقال: لا بُدَّ أن يكون يوماً عَظَّم الله تعالى. فتعجَّبْتُ من ورعه وتحفُّظه في منطقه عن مِثْلِ هذا.

وقال يوماً للمبارز المعتمد: قد أكثرتُ عليك من الرِّقاع والشَّفاعات. فقال له: ربما تكتب إليَّ في حَقِّ أُناسٍ لا يستحقون الشَّفاعة، وأكره رَدَّ شفاعتك، فقال له الشيخ: أنا أقضي حَقَّ مَنْ قصدني، وأنت إن شئت أن تقبل، وإنْ شئت ألَّا تقبل، فقال: ما أَرُدُّ ورقتك أبداً.

وكان على مذهب السَّلف الصَّالح، حسنَ العقيدة، متمسِّكاً بالكتاب والسُّنَّة، والآثار المَرْوِيَّة، ويُمِرُّها كما جاءت من غير طَعْنٍ على أئمة الدِّين وعلماء المُسْلمين، وينهى عن صُحْبة المبتدعين، ويأمر بصحبة الصَّالحين.

ذِكْرُ وفاته:

قال المصنِّف رحمه الله: كان سببُها أنَّه حَضَرَ مجلسي بقاسيون في الجامع، وأخوه شيخنا الموفَّق ـ رحمه الله ـ حاضر، والعمادُ والجماعة، وكان قاعداً في الباب الكبير، وجرى الكلامُ في رؤية الله تعالى ومشاهدته، واستغرقتُ في ذلك، وكان وقتاً عجيباً وأبو عمر جالسٌ إلى جانب أخيه الموفق، فقام، وطَلَبَ باب الجامع [ولم أره، فالتفتُّ، وإذا بين يديه شخص يريد الخروج من الجامع،][1] فصحتُ على الرَّجل: اقعد. فَظَنَّ أبو عمر أنني أُخاطبه، فجلس على عَتَبة بابِ الجامع الجوَّانية إلى أن فَرَغَ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

المجلس، ثم حُمِلَ إلى الدَّير، فكان آخرَ العَهْدِ به، وأقام أياماً مريضاً، ولم يترك شيئاً من أوراده، فلما أن كان عشية الاثنين ثامن عشرين ربيع الأول جمع أهله، واستقبل القِبْلة، ووصَّاهم بتقوى الله ومراقبته، وأمرهم بقراءة «يس» وكان آخرَ كلامه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢] وتوفي رحمه الله، وغُسل في وقت السَّحَر، [ومَنْ وصل إلى الماء الذي غُسِّل به نَشَّف به النِّساء مقانعهن، والرجال عمائمهم،][1] ولم يتخلَّف عن جِنازته أحدٌ من القُضَاة والأُمراء والعُلماء والأَعْيان وعامة الخَلْق، وكان يوماً مشهوداً، ولما خرجوا بجنازته من الدَّير كان يوماً شديدَ الحَرِّ، فأقبلت غمامةٌ، فأظلَّتِ النَّاسَ إلى قبره، وكان يُسمع منها دوِيٌّ كدويِّ النَّحْل، ولولا المبارز المعتمد وابن محارب وشِبْل الدولة الحُسَامي ما وصل إلى قبره مِنْ كفنه شيءٌ، فإنما أحاطوا به بالسُّيوف والدَّبابيس.

وكان قبل وفاته بليلةٍ رأى إنسانٌ كأَنَّ قاسيون قد وَقَعَ أو زال من مكانه، فأوَّلوه موته، ولما دُفِنَ رأى بعضُ الصَّالحين في منامه تلك الليلة النَّبيَّ ﷺ وهو يقول: مَنْ زار أبا عمر الليلة ـ وهي ليلة الجمعة ـ فكأَنَّما زارَ الكعبة، فاخلعوا نعالكم قبل أَنْ تصلوا إليه. [ورئيت مناماتٌ كثيرة][2]، ومات عن ثمانين سنة، ولم يخلِّف دِيناراً ولا دِرْهماً، ولا قليلاً ولا كثيراً.

سمع بدمشق أبا المكارم عبد الواحد بن محمد بن مُسَلَّم بن هلال الأَزْدي، وأبا تميم سلمان بن علي الرَّحْبي، وأبا الفَهْم عبد الرَّحمن بن عبد العزيز الأَزْدِي وغيرهم [وبمصر][2] أبا محمد عبد الله بن بَرِّي بن عبد الجبار اللُّغوي المَقْدِسي، وأبا طاهر إسماعيل بن قاسم الزَّيَّات وغيرهما.

وروى لنا الحديث، وعَلَّمني دُعاء السَّنَة، فقال: مازال مشايخنا يواظبون على هذا الدُّعاء في أوَّل كلِّ سنة وآخرها، وما فاتني طول عمري، وأما أَوَّل السنة فإنَّك تقول: اللهم أنتَ الأبدي القديم، وهذه سَنَةٌ جديدة، أسألك فيها العصمة من الشيطان وأوليائه، والعَوْنَ على هذه النَّفْس الأمَّارة بالسُّوء، والاشتغال بما يقرِّبُني إليك يا ذا الجلال والإكرام، فإنَّ الشيطان يقول: قد آيسنا مِنْ نفسه فيما بقي، ويوكل الله به ملكين يحرسانه.

---

(١) في (ح): ونشف النساء والرجال الماء الذي غسل به العمائم والمقانع...، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وأما دعاءُ آخر السنة، فإنَّه يقول في آخر يوم من أيام السَّنة: اللهم ما عَمِلْتُ في هذه السنة مما نهيتني عنه، ولم تَرْضَه ولم تنسه، وحَلُمْتَ عني بعد قُدْرتك على عقوبتي، ودعوتني إلى التَّوبة من بعد جرأتي على معصيتك، فإني أستغفرك منه، فاغفرْ لي، وما عملت فيها مما ترضاه، ووعدتني عليه الثَّواب، فأسألك أن تتقبَّلَه مني، ولا تقطع رجائي منك يا كريم. فإنَّ الشيطان يقول: تعبنا معه طول السنة، فأفسد فِعْلَنَا في ساعة.

وأنشدني [أبو عمر][1] لنفسه: [من الطويل]

ألـم يـكُ مَـنْـهـاةً عـن الـزَّهْـو أنـنـي ... بدا لي شَيْبُ الرَّأْسِ والضَّعْفُ والألَمْ
ألَـمَّ بـيَ الـخَـطْـبُ الـذي لـو بَـكَـيْـتُـهُ ... حـيـاتـيَ حـتَـى يـنـفَـدَ الـدَّمْـعُ لـم أُلَـمْ

وأنشدني لنفسه: [من الرجز]

أوصـيـكُـمُ بـالـقَـوْلِ فـي الـقُـرْآنِ ... بـقـيـلِ أَهْـلِ الـحَـقِّ والإتْـقـانِ
لـيـس بـمـخـلـوقٍ ولا بـفـانِ ... لـكـنْ[2] كـلامُ الـمَـلِـكِ الـدَّيَّـانِ
آيـاتُـهُ مُـشْـرقـةُ الـمـعـانـي ... مـتـلـوَّةٌ لـلـه بـالـلِّـسـانِ
مـحـفـوظـة فـي الـصَّـدْرِ والـجَـنَـانِ ... مـكـتـوبـةٌ فـي الـصُّـحُـفِ بـالـبَـنـانِ
والـقـولُ فـي الـصِّـفـاتِ يـا إخـوانـي ... كـالـذَّاتِ والـعِـلْـم مـع الـبـيـانِ
إمـرارهـا مـن غـيـرِ مـا كُـفْـران ... مـن غـيـرِ تـشـبـيـهٍ ولا عُـدْوان

وأنشدني لغيره: [مجزوء الكامل]

لـي حـيـلـةٌ فـيـمـن يـنـمُّ ... ولـيـس فـي الـكـذَّاب حِـيْـلَـهْ
مَـنْ كـان يَـخْـلُـقُ مـا يـقـو ... لُ فـحِـيْـلَـتـي فـيـه قـلـيـلَـهْ

ورثاه [جماعةٌ، منهم][1] شمسُ الدِّين محمد بن سَعْد، فقال: [من البسيط]

يـا عـاذلـيَّ أَفـيـقـا مِـنْ مـلامِـكُـمـا ... وعـلِّـلانـي فـإنـي الـيـومَ سـكـرانُ
أَبَـعْـدَ أَنْ فَـقَـدَتْ عـيـنـي أبـا عُـمَـرٍ ... يـضُـمُّـنـي فـي بـقـايـا الـعُـمْـرِ عُـمْـرانُ
مـا لـلـمـسـاجِـدِ مـنـه الـيـوم مُـقْـفِـرَةً ... كـأنَّـهـا بـعـد ذاكَ الـجَـمْـعِ قِـيْـعـانُ
مـا لـلـمـحـاريـبِ بـعـد الأُنْـس مُـوْحِـشَـةً ... كـأنَّ لـم يُـتْـلَ فـيـهـا الـذِّكْـرَ قُـرْآنُ

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ح): إلا، والمثبت من «المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٢١، بتحقيقي. وأبو شامة ينقل عن «المرآة».

واللهِ واللهِ أَيْمانٌ مؤكَّدةٌ ... وحُقَّ أَنْ تتوالى فيك أَيْمانُ
لو كان صَرْفُ الرَّدى بالمالِ مُفْتَدَياً ... أُعطي فِداك كما أعطى سليمانُ
تبكي عليك عيونُ النَّاسِ قاطبةً ... إذْ كانَ في كلِّ عينٍ منك إنسانُ
وكان في كلِّ قلبٍ منك نورُ هدى ... فصارَ في كلِّ قلبٍ منك نيران
وكلُّ حيٍّ رأينا فَهْوَ ذو أسفٍ ... وكلُّ مَيْتٍ رآه فَهْوَ فَرْحانُ
والناس في حلباتِ السَّبق أنفسهم ... هي النجائب والأحوال ميدان
لا زال يَسْقي ضريحاً أنت ساكِنُهُ ... سحائِبٌ غَيْثُها عَفْوٌ وغُفْرانُ
كم مَيِّتٍ ذِكْرُهُ حيٌّ ومتَّصِفٍ ... بالحيِّ مَيْتٌ له الأثوابُ أكفانُ

وأنشدني أيضاً على لسان ولده عبد الرحمن ـ وكان إذ ذاك صغير السن، لأنَّ مولده سنة سبع وتسعين ـ من أبيات: [من البسيط]

لا تعجبوا مِنْ تباريحي ومِنْ فِكَرِي ... هدَّ الأكابرَ ما لاقيتُ في صِغَرِي
لم يُبْقِ فيَّ الأسى والسُّقْمُ جارحةً ... فكيف أُشْفِقُ مِنْ دَمْعي على بَصَرِي
لو حلَّ بالأرضِ ما قد حَلَّ بي خُسِفَتْ ... والشَّمْسُ ما طَلَعَتْ والبَدْرُ لم يُنِرِ
فقدتُ روحي وراحاتي بفِقْداني ... أبي المكارمِ والتَّقْوى أبي عمر
والله لو زِيْدَ في عُمْرٍ بموهبةٍ ... يوماً وهبتُ له يا سادتي عُمُري
وكنتُ أفديه من سُوءٍ أَلَمَّ به ... بما قدرتُ ولو بالسَّمْعِ والبَصَرِ
لكنَّه القَدَرُ المحتومُ ليس له ... من دافعٍ مِنْ جميعِ البَدْو والحَضَرِ

ذِكْرُ أولاده:

كان له [عِدَّة][1] أولاد، منهم عمر، وأمه فاطمة بنت عبد الرَّحمن [عمة الضِّياء محمد][1]، وكانت أسنَّ من أبي عمر، وتوفيت قبله بيسير، وكان له منها أولاد أُخر.

وعبد الله، ويلقب بالشَّرف، وهو الذي قام بعده، وأمه [فاطمة][1]، بنت أبي المجد، دمشقية، توفيت في حياته.

وأحمد، أُمُّه آمنة بنت أبي موسى، توفيت بالبيت المقدس، وهو شابّ.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وعبد الرَّحمن، ولقبه شمس الدين، وهو الخطيب بعد أخيه عبد الله، وهو شقيق أحمد [لأمه وأبيه][1]، وكان لأبي عمر بنات كما قال الله تعالى: ﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥].

النِّظام الطُّغْرائي

وزير الظَّاهر صاحب حلب، واسمه حمد بن الحسين.

كان أديباً كاتباً مترسِّلاً، أقام في خِدْمة الظَّاهر عشرين سنة، وتوفي في صفر، وصلَّى عليه الظَّاهر تحت القلعة، وحُمِلَ إلى داره، فدفن بها إلى سنة تسع عشرة وست مئة، فأُخرج تابوته منها، ودُفِنَ في المقام عند تُرْبة مجد الدِّين ابن الدَّاية، وبيعت داره في الدَّيْن.

مظفر بن شاشير[2]

[الواعظ][1]، الصُّوفي، البغدادي.

ولد سنة ثلاثٍ وعشرين وخمس مئة [[3]وكان يعظ في الأعزية، وترب الرصافة، والمساجد، والقُرى، وكان مطبوعاً كيِّساً ظريفاً، وكان يسكن دار العميد عند الصوفية، فتوفي في المحرم، ودفن عند معروف الكرخي.

سمع أبا الوقت وغيره، جلس يوماً في مسجد القرية، فقام إليه إنسان، فقال: أنا مريض وجائع، فقال له: احمد ربك، فقد عوفيت].

واجتاز يوماً بقصاب يبيع لحماً هزيلاً، وهو ينادي: أين مَنْ حلف لا يُغْبَن؟ فقال له: حتى تُحْنِثَه!

[وقال: خرجت يوماً إلى بَعْقُوبا، فتكلمت بها في الليل في جامعها، فقال واحد: عندي نصفية، وقال آخر: وعندي نصفية، فعدُّوا نحواً من خمسين نصفية، قال: فقلت في نفسي، استغنيت الليلة. فلما أصبحنا، وإذا في زاوية المسجد مقدار كارة شعير،

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري ٢/ ٢٠٨، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٢٧-٢٢٨، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (ح): وكان مطبوعاً، يقص في الأعزية...، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

فقلت: ما هذا؟ قالوا: النصافي، كل كيل نصفية. فقلت: ما جمع الله عليكم غير نصافيكم. وقد أنكرت أن تكون النصافي التي تحمل إليَّ إلا كرى][1].

وقال: جلست بباجِسْرى، فجمعوا لي شيئاً ما أعلم ما هو، فلما أصبحنا إذا في جانب المسجد صوفُ الجاموس وقرونه، فقام واحدٌ ينادي عليه ويقول: مَنْ يشتري صوفَ الشَّيخ وقرونه؟ فقلت: رُدُّوا صوفكم وقرونكم إليكم، ما لي بها حاجة.

[قال: وذكر يوماً إذا مات العبد وهو سكران حُشِرَ وهو سكران، فقام واحد، فقال: يا مولانا، أين هذا الخمر؟ يساوي كل قدح منه دينار.

قال: وسمعته ليلة ينشد بقرية الرَّصافة في بعض المواسم وذكر فصلاً في الربيع، ويقال: إن الأبيات لابن النيل الشاعر، وهي هذه][1]: [من البسيط]

عرائسُ الأرضِ تُجْلَى في غلائلها ... وفي حُلِيٍّ عليها صاغه الدِّيَمُ
يسير في حُلَلِ الأنوار مُذْهبة ... في كل ناحية من نَسْجِها عَلَمُ
دُرٌّ من الأُقْحوانِ الغَضِّ زينته ... حُمْرُ اليواقيتِ في المنثور يَنْتَظِمُ
كأنَّما بالسَّماء الأرضُ شامتةٌ ... تبكي السماء وثَغْرُ الأرضِ مُبْتَسِمُ

توفي مُظَفَّر في المحرَّم، ودُفِنَ عند قبر معروف الكَرْخي.

الوجيه بن البُوني المَغْربي[2]

إمام مقصورة الحنفية الغربية بجامع دمشق.

كان صالحاً دَيِّناً، فقيراً، قارئاً للقرآن بالسَّبْع، وأنشد: [من الطويل]

ومِنْ عادةِ السَّادات أَنْ يتفقَّدوا ... أصاغرَهُمْ والمكْرُماتُ مصايدُ
سليمانُ ذو مُلْكٍ تفقَّدَ هُدْهُداً ... وإنَّ أَقَلَّ الطائراتِ الهداهِدُ

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) هو إبراهيم بن يوسف بن محمّد، وقد أخطأ سبط ابن الجوزي في ذكره في وفيات هذه السنة، والصحيح في وفاته أنها كانت سنة (٦١٢هـ) كما ذكرت مصادر ترجمته: «التكملة» للمنذري: ٢/ ٣٥٠، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٦٠ ـ وهو شيخ أبي شامة ـ و«الوافي بالوفيات»: ٦/ ١٧٣، و«الجواهر المضية»: ١/ ١١٨، و«توضيح المشتبه»: ١/ ٦٥٤ـ٦٥٥.

[فصل: وفيها توفي

يحيى بن أبي الفَتْح[١]

ابن الطبَّاخ، الحرَّاني الضَّرير.

شيخنا، قدم بغداد، وأقام بها مدة يتفقه على مذهب أحمد ابن حنبل، وسمع الحديث، وقرأ النحو على أبي البقاء العكبري وغيره، وعاد إلى حران، فأقام بها إلى أن توفي، وكان قد ابتلي في آخر عمره، فوقعت الأكلة في فِيْه.

سمع شُهْدة، وعبد الحق ابن يوسف، وابن الخشَّاب وغيرهم، وكان صالحاً، فقيراً، صبوراً على قضاء الله تعالى، ديِّناً، اجتزت بحران سنة ثلاث وست مئة، فسمعت عليه الحديث][٢].

السنة الثامنة وست مئة

فيها عاد نجاح الشَّرابي والقُمِّي من ششتر إلى بغداد، وبين أيديهما سنجر مملوك الخليفة الذي عصى عليه، راكباً على بغل ببرذعة، وفي رِجْله سِلْسِلَةٌ، وحُبِسَ، وجَمَع القُمي القضاةَ والفقهاءَ والأعيان، وأخرج كتبه إلى المخالفين للدَّوْلة وإلى نوابه يقول: من لقيتم من عسكر الخليفة [فاقتلوه][٢] ـ وقرأها على الجماعة ـ فأفتَوْا بإراقة دمه، وأيس سنجر [والنَّاس][٢] مِنْ نفسه، فقال القُمِّي: فإنَّ أمير المؤمنين قد عفا عن ذنبه، وصفح عن جُرْمه، فأفاضَ الخِلَعَ عليه، وجمع بينه وبين أهله في [الصَّاغة في][٢] دار طاشْتِكِين بدار الخليفة.

وفيها قَدِمَ رسولُ جلال الدين حسن صاحب ألموت يخبر بأَنَّهم قد تبرؤوا من الباطنية، وبنوا الجوامع والمساجد، وأقيمت الجمعة والجماعات عندهم، وصاموا رمضان، فَسُرَّ الخليفةُ والنَّاسُ بذلك، وقدمت خاتون أم جلال الدين حاجَّة، فاحتفل لها الخليفة.

---

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٢١٣ـ٢١٤، و«تاريخ الإسلام» للذهبي: (وفيات سنة ٦٠٧هـ)، و«ذيل طبقات الحنابلة»: ٢/ ٦٢، و«شذرات الذهب»: ٥/ ٣١.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).